بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس التاسع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما نافعا، اللهم اغفر لنا ولمشايخنا أجمعين.

قال الإمام العلامة محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى- في كتابه كتاب التوحيد الذي هو حق لله على العبيد.

باب: تفسير التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله

وقول الله تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ } الآية

وقوله { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلا الَّذِي فَطَرَنِي } الآية

وقوله: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } الآية

وقوله : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } الآية

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: " من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبَد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله – عز وجل –

"وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد قال المصنف – رحمه الله – تعالى

◈ باب تفسير التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله

أتى المصنف بهذا الباب بعد ما تقدمه من أبواب تضمنت:

- بيان حقيقة التوحيد،
- وبيان فضله وما يكفر من الذنوب،

- وبيان أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب،
- وبيان حقيقة الشرك وهو ما يناقض التوحيد،
- ووجوب الدعوة إلى شهادة ألا إله إلا الله

أتى بهذا الباب لمزيد البيان لحقيقة التوحيد، وتفسير الشهادة، ورفع اللبس الذي يحصل عند بعض الناس فإن من الناس من لا يحسن فهم التوحيد ولا يحسن فهم لا إله إلا الله فأراد الشيخ – رحمه الله – بعقد هذا الباب أن يرفع هذا اللبس وأن يزيد في بيان المعنى

وإنما عطف الشهادة على التوحيد: لبيان أنهما شيء واحد، وقد تقدم معنا في رواية البخاري في قصة معاذ فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يشهدوا ألا إله إلا الله وفي رواية أن يوحدوا الله فدل على أنهما بمعنى واحد ساق فيه قول الله – عز وجل – :

◈ **(أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا)**

أولئك: المشار إليهم أولئك الذين يدعون بمعنى يدعونه ففاعل يدعون هم المشركون فالمشركون يدعون من دون الله تعالى ملائكة، وصالحين، وأنبياء فالله تعالى يخبر أن أولئك الذي يدعونهم المشركون

يبتغون إلى ربهم الوسيلة: إذن من فاعل يبتغون المدعوين وليس الداعين ففاعل يدعون المشركون وفاعل يبتغون المدعوين وهم الصالحين من الملائكة والأنبياء والصالحين إذن يصبح المعنى أولئك الذين يدعونهم المشركون يبتغون إلى ربهم الوسيلة،

وما معنى يبتغون؟ أي يطلبون،

وما الوسيلة؟ الوسيلة مأخوذة من الوسل وهو الوصل فالوسيلة والوصيلة بمعنى واحد والمراد بها التوسل إلى الله – سبحانه وتعالى – وطلب القرب منه.

أيهم أقرب: وهذه الجملة تدلنا على التنافس بين هؤلاء الصالحين في طلب الوسيلة أيهم أقرب ولا شك أن التنافس في مرضاة الله – عز وجل – وعبادته هو التنافس الشريف إذا قيل التنافس الشريف فإن أولى ما يدخل في هذا المعنى هو التنافس في طاعة الله قال الله تعالى: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) طيب

(ويرجون رحمته): يعني إضافة إلى ابتغائهم إلى ربهم الوسيلة فهم يحققون عبادتين عظيمتين إحداهما الرجاء والثانية الخوف ويخافون عذابه ثم علل ذلك بالجملة الختامية

(إن عذاب ربك كان محذورا) أي محذورا أي كان مخوفا فالمعنى الإجمالي لهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن حال هؤلاء المشركين أنهم يدعون قوما من الصالحين من الملائكة والأنبياء والصالحين الذين هم يطلبون القرب من الله ويعبدونه وحده لا يشركون به أحدا سواه ويرجون رحمته لا يرجون أحدا غيره يخافون عذابه لا يخافون أحدا غيره بل ويتنافسون في ذلك أيهم أقرب فإذا كان هذا حالهم فالأولى والأحرى لمن دعاهم أن ينسج على منوالهم وأن يدعو من دعوه، وأن يرجو من رجوه، وأن يخاف ممن خافوه

وهذه هي مناسبة الآية لهذا الباب فهي مناسبة ظاهرة:

ذلك أن هذه الأوصاف التي وصف الله تعالى بها هؤلاء المدعوين هي أوصاف التوحيد وهي حقيقة التوحيد إذ أنها جمعت الخوف، والرجاء، والمحبة:

- فقوله "يبتغون إلى ربهم الوسيلة" يدل على المحبة،
- وقوله "يرجون رحمته" يدل على الرجاء،
- وقوله "ويخافون عذابه" يدل على الخوف

وليعلم – يا رعاكم الله – أن هذه الثلاثة هي أمهات العبادات القلبية المحبة والخوف والرجاء وقد صورنا لكم فيما مضى ذلك بصورتين إحداهما أن ذلك كالطائر:

فالطائر له جسم وله جناحان فكأن المحبة هي الجسم وأحد الجناحين الخوف وأحدهما الرجاء

وثم صورة أخرى أن يكون ذلك كالمركبة فالمحبة هي المركبة التي يستقلها السائر إلى الله – عز وجل – والذي يحدوها إلى الأمام هو الرجاء، والذي يمنعها من الحيدة يمنة أو يسرة هو الخوف هذه حقيقة حال المؤمن فإن المؤمن مدار عباداته القلبية على هذه الثلاث إما محبة وهي شعور يقوم في النفس يجذبه إلى ربه ومولاه فيحس بالتعلق والانتداب إلى الله – سبحانه وتعالى – وهذه أشرف الثلاثة لأنها لا تنقطع دنيا ولا آخرة، ولذا قال النبي ﷺ "أحبوا الله من كل قلوبكم " وأما الرجاء فإنه يحفزه على العمل الصالح لأنه يرجو الوصول إلى جنته سبحانه لكن الرجاء ينقطع بالوصول إلى المقصود أليس كذلك إذا بلغ الإنسان مبتغاه وهو رضوان الله وجنته فقد تحقق مراده

فانقطع الرجاء، أيضا الخوف، الخوف يحجزه عن أن يحيد يمنة أو يسرة فلا يخرج إلى أبواب الشهوات والشبهات فيحجزه الخوف عن ذلك وينقطع الخوف ببلوغ الجنة (يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)

إذن تبين بهذا أن أصل هذه الثلاث المحبة لأنه تبقى في الدنيا وتعظم في الآخرة أما الخوف فينقطع وكذلك الرجاء،

والمقصود من هذه الآية العظيمة: أن من اتخذهم المشركون شفعاء عند الله بريئون من هذا التقرب لأنهم هم بأنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة لا يشركون معه أحدا غيره ولا يطلبون أحدا سواه، ويرجون رحمته لا يرجون أحدا سواه، ويخافون عذابه لا يخافون أحدا سواه فكأنما قيل للمشركين إذا كان هذا حال من تدعونهم فكيف يليق بكم أن تخرجوا عن نهجهم و سننهم، وتبين بهذا بأن المشركين ربما دعوا عبدا صالحا، وربما دعوا أصناما وأوثانا فالمذكرون في هذه الآية من أي الصنفين؟ من الصالحين فربما دعوا أوثانا، وأصناما، وأحجارا وغير ذلك وربما دعوا ملائكة، وأنبياء، وصالحين

فنستفيد من هذه الآية:-

- بيان أمهات العبادات القلبية؛ وهي المحبة، والخوف، والرجاء

- ونستفيد منها أيضا الرد على المشركين الذين يدعون الأولياء والصالحين زاعمين بأن ذلك سائر وجائز فمن دعا غير الله - عز وجل - في جلب نفع أو دفع ضر فلا فرق بينه وبين من دعا صالحا في جلب نفع أو دفع ضر لا فرق بينه وبين من دعا شيطانا رجيما أو عبد صنما أو نحو ذلك

- وفي الآية ما يدل على قوة الخوف والرجاء لدى الصالحين قوة الخوف والرجاء عند الصالحين فإن هذا من أخص أوصافهم "يرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا" فإن هذا يدل على شدة الخوف ويدل أيضا على وجوب الحذر من عذاب الله - عز وجل - وألا يغتر الإنسان بحاله (إن عذاب ربك كان محذورا)

- وفيه أيضا من الفوائد **الرد على الصوفية الذين يزعمون بأن الله يعبد بالحب وحده:**

فإن من الصوفية من يقول يعبد بالحب وحده ومن عبده بالخوف والرجاء فهو فاجر وليس عابد حتى إنه ينسب إلى رابعة العدوية ولعلها بريئة رحمها الله من هذه الدعوة أنها قالت : ما عبدتك خوفا من عذابك ولا رغبة في

جنتك بل محبة لك وهذا باطل لأن الذي أمرنا بالخوف من عذابه وعظم في قلوبنا رجاءه هو الله - عز وجل - فالواجب علينا أن نعبده بالثلاث،

ولهذا قال بعضهم:

- من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري،
- ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ،
- ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق،
- ومن عبد الله الخوف والرجاء والمحبة فهو المؤمن الحق - جعلنا الله وإياكم منهم-

وأيهما ينبغي أن يقدم الخوف أم الرجاء:

هي معادلة تضبط النفس وتحفظ لها استواءها ولهذا قال بعض أهل العلم:

إن الخوف والرجاء كجناحي الطائر فالطائر لو كان أحد جناحيه أكبر من الآخر لجنح في طيرانه ومال فلذلك الأصل أن يكون العبد بين الخوف والرجاء يرجو رحمته ويخشى عذابه لكن لا بأس في بعض الأحوال أن يزيد في حصة الخوف وفي بعض الأحوال أن يزيد في حصة الرجاء ليبلغ سيره إلى الله - عز وجل - كيف ذلك إذا أقبلت عليه الدنيا وانفهقت له وفتحت له زينتها وأبوابها وزخرفها فما الذي ينبغي له أن يزيد في حصة الخوف ليمنع نفسه من الانحدار والانجراف وراء زينة الحياة الدنيا، وإذا ادلهمت الخطوب وضاقت به السبل أو دنى أجله وكان في ساعة الاحتضار فالأولى به أن يغلب جانب الرجاء لكي ينفس عن نفسه ويتعلق برحمة الله، ولكي يحصل له دنو الأجل ويتحقق فيه قول النبي ﷺ: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"، وقول الله - عز وجل -: "أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبدي ما شاء" فيحسن الظن بربه ويغلب جانب الرجاء في حال الموت والاحتضار

◈ **ثم إن المصنف - رحمه الله - تعالى: ساق قول الله تعالى "وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين"**

يحكي الله هذه المقالة الصادرة عن إبراهيم - عليه السلام - وهي صيحة جهر بها عليه الصلاة والسلام بين ظهراني القوم وخص أباه أولا لحقه عليه وعم قومه كما صنع نبينا ﷺ حين خص وعم على جبل الصفا فإبراهيم -

عليه السلام – وجه خطابا خاصا لأبيه ذكره الله – عز وجل – في سورة مريم يا أبت يا أبت يا أبت يا أبت في أربع آيات وعم قومه فدعاهم فقال بمليء فيه فقال إنني لاحظوا هذه اللغة المؤكدة بإن التوكيدية:

إنني براء مما تعبدون: لم يقل إنني بريء قال إنني براء وبراء صفة مشبهة أبلغ في التعبير من بريء وإن كان بريء يعطي نفس المعنى لكن براء كأنها جعلت منه ظرفا ومحلا للبراءة كأنها استحال بأكمله إلى براءة من المشركين

إنني براء مما تعبدون: تبرأ – عليه الصلاة والسلام – من معبوداتهم وقد كانوا يعبدون الأفلاك السماوية ويتخذون لها الهياكل الأرضية كانوا في أرض حران وكانوا إبراهيم بمدينة بين النهرين يقال لها أور في زمن الكلدانيين فكانوا يتخذون للأجرام السماوية المشتري وزحل هياكل أرضية يعبدونها ويصورون لها التماثيل والنصب والأصنام فكان من شأن إبراهيم – عليه السلام – أن صرخ بين ظهرانيهم بالبراءة من هذه المعبودات إنني براء مما تعبدون

"إلا": استثنى، استثنى من قال إلا الذي فطرني من الذي فطره ولهذا استنبط العلماء من هذا أن قومه كانوا يعبدون الله لأنه تبرأ من جميع معبوداتهم واستثنى ربه – عز وجل – هذا إذا قلنا إن الاستثناء ها هنا متصل بمعنى إلا، على وجهها يكون الاستثناء متصل،

أما إذا قلنا إن الاستثناء منفصل فإن إلا تكون بمعنى بل يعني بل الذي فطرني وحينئذ الآية على هذا التوجيه لا تدل على أنهم كانوا يعبدون الله بل كانوا يعبدون الأصنام فقط وكلا التفسيرين له وجه والأقرب والله أعلم أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره ولذلك لم تنفعهم عبادتهم لله تعالى لأن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك قال (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه).

إلا الذي فطرني: فطرني أي خلقني أو ابتدأ خلقي لأن الفطر معناه الابتداء ابتداء الشيء فإنه سيهدين وهذا من كمال ربوبيته أنه خلق فهدى، ألم تروا أن موسى – عليه السلام – فيما قصصنا عليكم يوم أمس لما قال أصحابه إنا لمدركون ماذا قال؟ قال كلا إن معي ربي سيهدين هكذا المؤمن يعلم أن الله تعالى يهديه يهديه حسيا ومعنويا .

◈ إذن هذه الآية العظيمة دلت أو كانت مناسبة للباب

لما فيها من بيان معنى لا إله إلا الله فإنها تضمنت البراءة من الشرك وإثبات التوحيد أين البراءة من الشرك؟ إنني براء مما تعبدون، طيب أين إثبات العبادة لله؟ إلا الذي فطرني وهكذا فإن التوحيد والإيمان لا يقوم إلا على ساقين

عبادة الله والبراءة مما سواه، وقد تضمنت الآية هذين المعنيين إنني براء تضمنت البراءة من الشرك والمعبودات إلا الذي فطرني تضمنت إفراد الله تعالى بالعبادة

◈ **فنستفيد من هذه الآية:-**

- بيان معنى لا إله إلا الله وأنها تقوم على إخلاص العبادة لله وحده
- ونستفيد منها أيضا وجوب البراءة من الشرك والمشركين لكي يكون المعنى أعم .
- ونستفيد أيضا الجهر بذلك والتظاهر به كما صنع إبراهيم - عليه السلام -
- ونستفيد أيضا إثبات الخلق لله سبحانه وتعالى، وإثبات الهداية فالله هو الخالق والله هو الهادي

◈ ثم قال المصنف - رحمه الله -:- أو ساق **قول الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون):**

اتخذوا: إلى ما يرجع الضمير؟ إلى أهل الكتاب إلى اليهود والنصارى ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - عد من فعلهم أنهم قالوا (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) أي فوق ذلك فوق أنهم زعموا أن المسيح ابن الله وأن عزيرا ابن الله فقد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله

اتخذوا: يعني جعلوا والأحبار هم العلماء، والرهبان هم العباد،

وغالبا ما يطلق الأحبار: على علماء اليهود

والرهبان: على عباد النصارى

وذلك إن اليهود العلم فيهم أكثر والنصارى العبادة فيهم أكثر لأن النصارى على وجه العموم فيهم رقة ورهبانية، واليهود فيهم قسوة وغلظة لكن عندهم علم ولكن ربما أطلق الحبر والراهب على هاتين الطائفتين

أربابا من دون الله: كيف اتخذوهم أربابا من دون الله؟ جاء تفسير ذلك في حديث عدي بن حاتم الذي سيأتينا لاحقا في باب مستقل حينما دخل على النبي ﷺ يقرأ هذه الآية وقد كان عدي بن حاتم ركوسيا على ملة النصارى فئة من فئات النصارى فقال يا رسول الله ما عبدوهم دخل على النبي ﷺ وفي عنقه صليب من ذهب معلق فدخل والنبي ﷺ يتلو هذه الآية فقال: يا رسول الله إنهم ما عبدوهم ظن - رضي الله عنه - أن العبادة تكون بالركوع

والسجود لهم ونحو ذلك فقال له النبي ﷺ أليسوا يحلوا لهم الحرام فيتبعوهم، ويحرموا عليهم الحرام فيتبعوهم، قال: بلى، قال: فتلك عبادتهم إذن فبين أن اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله أنهم منحوهم حق التشريع وهذا من خالص الربوبية أن يكون الحكم لله هو الذي يأمر سبحانه وينهى ويحلل ويحرم ويشرع (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) فالشرع لا يكون إلا لله – عز وجل – فمن خلع ذلك على غير الله فقد وقع في شرك الربوبية قبل أن يقع في شرك العبادة حيث أعطى ما ينبغي لله – عز وجل – لغير الله

قال والمسيح ابن مريم: أي وكذلك المسيح بن مريم اتخذوه ربا من دون الله وهم يصرحون بذلك لفظا فيقولون دوما الرب يسوع المخلص ولعلكم تستمعون أحيانا إلى ما يأتي في إذاعاتهم التنصيرية يقولون الرب يسوع المخلص هكذا بملء أفواههم الرب يسوع المخلص فيسمون عيسى – عليه السلام – ربا

قال الله سبحانه وتعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا): إي والله، والله إنهم ما أمروا إلا بتوحيد الله لكنهم أفسدوا دينهم (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وهذا شاهده قول الله – عز وجل – (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) لكن هاتين الطائفتين أفسدتا دينهما فإن موسى – عليه السلام – أتى بالدين القويم أتى بتوحيد رب العالمين ونبذ الشرك حتى إنه غضب أشد الغضب حينما رجع ووجدهم يعبدون العجل وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه غضب غضبا شديدا وغضب عليهم حينما قالوا له (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه) فأغلظ عليهم في النكير وهذا دليل على أن موسى – عليه السلام – جاء بالتوحيد الخالص الذي جاء به إبراهيم – عليه السلام –، وكذلك عيسى – عليه السلام – جاء بالتوحيد الخالص (وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) لكن القوم ينكرون هذه الصراحة، ويأبون ويزعمون أن الأمر على خلاف ذلك، ويشركون بالله – عز وجل – ولهذا قال الله – عز وجل –: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)

قال بعض السلف رغبت اليهود عن ملة إبراهيم ورغبت النصارى عن ملة إبراهيم إذن اعلموا يقينا أيها الإخوان أن اليهود والنصارى خرجوا عن ملة إبراهيم ولهذا برأ الله إبراهيم منهم فقال: (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) ومع هذا الوضوح في الآيات الكريمات

إلا إنا نجد بعض المنتسبين إلى الإسلام والمنتسبين إلى الدعوة من يصوب دين اليهود والنصارى ويسمي الأديان الإبراهيمية

هكذا يقولون عن الإسلام واليهودية والنصرانية الأديان الإبراهيمية هذه تسمية باطلة حاشا إبراهيم – عليه السلام – أن يُنسب إليه يهود أو ينسب إليه النصارى الإسلام هو ملة إبراهيم كما هو ملة محمد صلى الله عليهما وسلم **فلا يجوز أن يقال الأديان الإبراهيمية ولا يجوز أن يقال الأديان التوحيدية الثلاث** ما هم بموحدين التوحيد هو دين الله الإسلام الذي جددها نبينا محمد ﷺ،

وأما اليهودية الآن فإنها صورة محرفة عما جاء به موسى،

والنصرانية صورة محرفة عما جاء به عيسى – عليه السلام –

فليستا على التوحيد

ولا يجوز أيضا أن تسمى أديانا سماوية

◈ **إذن** أرجوا أن تنتبهوا هذه ثلاث تعبيرات كلها تعبيرات باطلة **لا يجوز أن يقال:**

- الأديان الإبراهيمية،
- ولا الأديان التوحيدية،
- ولا الأديان السماوية

فالدين السماوي الوحيد هو الإسلام، والدين الإبراهيمي الوحيد هو الإسلام، والدين التوحيدي الوحيد هو الإسلام،

أما اليهودية والنصرانية بما آلتا إليه فلا فليست توحيدية وإن كانوا ينتسبون إلى موسى وعيسى عليهم السلام وكيف اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ؟

بينا ذلك ولكن دعوني أذكر لكم بنوع من التفصيل النصارى حينما يريدون أن يغيروا شرع الله ماذا يصنعون يعقدون لهم ما يسمى مجمعا هذا المجمع يحشدون له جميع أثاقفتهم على وجه الأرض ثم يديرون الحوار بينهم حول قضية من القضايا فما تمخض عنه ذلك المجمع فإنه يعد عندهم حكما معصوما يسمونها دساتير المجمع فما كان من

دساتير المجمع فهو مصون بالروح القدس زعموا يقولون إن الروح القدس يعصم هذا المجمع من أن يخطئ فكل ما يصدر عن هذا المجمع فهو حق بل إن بعضهم يجعل العصمة للبابا الذي يقف على رأس هرم الكنيسة الكاثوليكية فيجعل للبابا حق العصمة بحيث يشرع، ويأمر، وينهى، ويحلل، ويحرم كيف شاء وكان آخر مجامعهم المجمع الفاتيكاني الثالث الذي انعقد في روما في الفاتيكان ما بين عامي [١٩٦١إلى ١٩٦٥] قريبا من أربع سنوات اجتمع فيه أكثر من ألفي أسقف على وجه الأرض ليناقشوا قضايا عدة وخرجوا بمقررات كثيرة خالفوا فيها بعض مقرراتهم السابقة فعندهم أن المجمع يملك أن ينقض المجمع الذي قبله لو شاء وهكذا اتخذوا دينهم هزوا ولعبا ووكلوا أمرهم إلى الأحبار والرهبان يغيرون في دينهم ما شاءوا

◈ **وبهذا تبين مناسبة هذه الآية للباب:-**

وهو أن مما يناقض التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله طاعة غير الله في التحليل والتحريم كما صنع اليهود والنصارى مع أحبارهم ورهبانهم، وتعين بأنه يجب إفراد الله بالتحليل والتحريم وعدم إشراك أحد معه غيره هذا الذي دعى المصنف - رحمه الله - أن يورد هذه الآية تحت هذا الباب

◈ **ونستفيد من هذه الآية فوائد منها:-**

- انحراف اليهود والنصارى عن ملة إبراهيم

- الفائدة الثانية أن شهادة ألا إله إلا الله تتضمن إفراد الله بالتحليل والتحريم

- الفائدة الثالثة أن من نصّب مخلوقا في التحليل والتحريم فقد أشرك مع الله

- وتتضمن هذه الآية الرد على اليهود والنصارى

- كما تتضمن في قوله سبحانه عما يشركون تنزيه الله عن الشرك

ثم ساق المصنف - رحمه الله -:-

◈ **قول الله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب)**

لنتأمل في مفردات هذه الآية

"ومن الناس": "من" هذه هي التبعيضية يعني بعض الناس فريق من الناس،

"من يتخذ من دون الله": يعني سوى الله غير الله،

"أندادا": جمع ند وهم الوكلاء والأمراء

يحبونهم: هذه المحبة المقصود بها محبة العبادة يحبونهم كحب الله وهؤلاء - أيها الإخوان - للمفسرين قولان أرجوا الانتباه لمعنى يحبونهم كحب الله:

- فقال بعض المفسرين أي أن هؤلاء الناس يحبون الأنداد كمحبة المؤمنين لله بمعنى أن هؤلاء المذمومين لا يحبون الله وإنما يحبون غير الله من الأنداد كما يحب المؤمنون الله هذا قول،
- القول الثاني أن معنى الآية أن من الناس من يحبون أندادهم كما يحبون الله أي أنهم يحبون الله ويشركون معه في المحبة غيره انتبهتم للفرق هذا القول الثاني هو الذي نصره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وتلميذه ابن القيم أي أنهم وقعوا في شرك المحبة

فالتفسير الأول يدل على أن هؤلاء المذمومين لا يحبون الله وإنما يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، والتفسير الثاني أن هؤلاء المذمومين يحبون الأصنام والأنداد محبة مماثلة لمحبتهم هم لله أي أنهم يحبون الله ويحبون معه غيره فوقعوا في شرك المحبة

وهذا الثاني هو الأقرب وهو الذي يدل عليه الواقع فإن مشركي العرب كانوا يظهرون محبة الله ويحجون بيته، ويقفون في المشاعر، ويهدون بعض أنواع القرب لله - عز وجل - لكنهم يفسدون ذلك بالشرك، وكذلك مشركو زماننا الذين يطوفون بالأضرحة والقبور وينادون الصالحين يحبون الله ويحبون هؤلاء محبة مماثلة لمحبة الله فلهذا قال الله - عز وجل - رادا عليهم

والذين آمنوا أشد حبا لله: فمحبتهم لله - عز وجل - لا يدانيها محبة ولا يشاركها محبة فقد أفردوا الله تعالى بالمحبة، إذن يكون والذين آمنوا أشد حبا لله يعني أشد حبا لله من محبة أولئك للأنداد أو من محبتهم لله - عز وجل - لماذا كانوا أشد؟ لأنهم أفردوا الله بالمحبة فيمكن أن نوجهها الجملة الأخيرة على كلا التفسيرين:

- فعلى التفسير الأول يكون المعنى والذين آمنوا أشد حبا لله يعني أشد حبا لله من محبة المشركين لأندادهم
- وعلى التفسير الذي رجحناه يكون معنى الجملة والذين آمنوا أشد حبا لله من محبة المشركين لله لأنهم يحبونه ويشركون معه،

ثم أتبع ذلك سبحانه بهذا الوعيد "ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا": ومن كانت له القوة جميعا حقيق بأن تكون له المحبة جميعا "أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب" وما كانوا ليتوعدوا بهذا الوعيد إلا لإقدامهم على أمر عظيم وهو الشرك والشرك المذكور في الآية هو شرك المحبة

◈ **فالآية مناسبة جدا للترجمة ترجمة الباب**

لأن ترجمة الباب في تفسير لا إله إلا الله فتفسير التوحيد ولا إله إلا الله إفراد الله تعالى بالمحبة وعدم إشراك أحد معه غيره

◈ **فنستفيد من هذه الآية:-**

- بيان معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وأن ذلك يتضمن إفراد الله بالمحبة

- نستفيد من الآية أيضا على القول الثاني على التوجيه الثاني للمفسرين أن المشركين يحبون الله محبة كبيرة ولكن ذلك لم ينفعهم لم لأنهم أشركوا مع الله أحدا في المحبة

- ونستفيد من هذه الآية أيضا قبح الشرك وشؤم عاقبته لما ترتب عليه من هذا الوعيد

ثم قال المصنف - رحمه الله -:-

◈ **وفي الصحيح**

الواقع أنه ليس هناك طريقة منضبطة للمؤلف - رحمه الله - في قوله وفي الصحيح فتارة يقول وفي الصحيح ويقصد الصحيحين وتارة يقصد البخاري وحده وتارة يقصد مسلما وفي هذا الموضع أراد صحيح مسلم قال

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال :

من قال لا إله إلا الله: يعني بقلبه ولسانه لأن القول ينسب إلى القلب كما ينسب إلى اللسان،

وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه حرم: يعني امتنع ماله من أن يسلب ودمه من أن يهراق،

وحسابه على الله: يعني ما يكون قد فرط منه من سيئات مادام قد سلم من غائلة الشرك فحسابه على الله - عز وجل - إن كان قد وقع شيء من الكبائر وحسابه على الله - عز وجل -

◈ **إذن هذا الحديث أيضا مناسب جدا للباب**

لأنه تضمن شقي التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة والبراءة من غير الله أين إفراد الله بالعبادة؟ في قوله: من قال لا إله إلا الله، أين البراءة من الشرك؟ وكفر بما يعبد من دون الله فمناسبته ظاهرة

◈ **ويستفاد من هذا الحديث:-**

- بيان معنى لا إله إلا الله وأنها تتضمن الكفر بالأصنام

-وأيضا بيان بأنه لا يكفي مجرد التلفظ بها بل لابد أن يقرن بذلك الكفر بما يعبد من دون الله فمن قال لا إله إلا الله ودعا غير الله هل ينفعه قوله لو قال لا إله إلا الله وملأ الجو بلا إله إلا الله تهليلا لكنه مكب على دعاء غير الله يذبح لغير الله يستغيث بغير الله هل ينفعه ذلك لا ينفعه لأن هذا دعاء غير الله

- نستفيد أيضا أن من أتى بالتوحيد وحققه فإنه معصوم الدم والمال

- ونستفيد أيضا وجوب الكف عن من قال لا إله إلا الله حتى لو قالها في حال القتال لقول النبي ﷺ لأسامة لما قتل الرجل وهو قد قال لا إله إلا الله ظانا أنه قالها تعوذا قال فما تصنع بلا إله إلا الله .

- ونستفيد أيضا تعظيم حرمات المسلمين

ثم أخيرا نختم بهذا وهو أن المصنف قد قال وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب أي أن تفسير التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله سوف يكون بالأبواب التالية لأن المصنف في الأبواب التالية سوف يذكر أمورا من أمور الشرك التي تنافي لا إله إلا الله كلبس الحلق أو الخيط والذبح لغير الله والنذر لغير الله مما يتضح به التطبيق العملي لـ "لا إله إلا الله"

قال : فيه أكبر المسائل وأهمها وهي تفسير الشهادة، وبيَّنها بأمور واضحة منها آية الإسراء بيَّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين؛ ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

[الشرح]:- نعم أول مسألة تستنبط أكبر المسائل وأهم المسائل وهو تفسير التوحيد كما جاء ذلك مبينا في آية الإسراء (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) نعم

ومنها: آية براءة

[الشرح]:- وكذلك آية براءة وهي قول الله – عز وجل – (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فبين أن التحليل والتحريم حق خالص لله فمن ادعاه لغير الله فقد وقع في الشرك

ومنها: آية براءة بيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم.

[الشرح]:- طاعة العلماء والعباد في المعصية هكذا فسرها النبي ﷺ في حديث عدي بن حاتم بأن ذلك بطاعتهم في تحريم ما أحل الله تحليل ما حرم الله فكان ذلك منهم من اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله

ومنها: قول الخليل – عليه السلام – للكفار { إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ } . { إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي } فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة : هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال : { وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } .

[الشرح] :- نعم هكذا بين الخليل – عليه السلام – واختار الشيخ – رحمه الله – ما يدل على أن الاستثناء متصل لأنه قال إلا الذي فطرني فلم يستثني إلا ربه مما يدل على أن القوم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره ولما كانت هذه الكلمة كلمة التوحيد كلمة ثقيلة راسخة جعلها باقية في عقبه فهذه الكلمة التي جعلها باقية في عقبه هي لا إله إلا الله

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم { وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ولم يُدخلهم في الإسلام فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده؟ ولم يحب الله ؟

[الشرح] :- نعم هذه دركات لا نقول درجات بناء على أن هؤلاء الذين يحبون أندادهم كحب الله أو أعظم من حب الله أو الذين يحبونهم كحب الله أو الذين لا يحبون الله أصلا لا شك أن هؤلاء جميعا كما قال الله (وما هم بخارجين من النار) فهذا يفسر شهادة ألا إله إلا الله نعم

ومنها : قوله ﷺ : " من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله " وهذا من أعظم ما يُبَيِّن معنى " لا إله إلا الله " فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يُضِيفَ إلى ذلك الكفر بما يُعْبَد من دون الله . فإن شك ؛ أو توقف ؛ لم يحرم ماله ودمه .فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها ! ويا له من بيان ما أوضحه ! وحجة ما أقطعها للمنازع!.

[الشرح] :- ما شاء الله لهذا عقد الشيخ – رحمه الله – هذا الباب لكي يرفع اللبس والغلط الذي يدعيه بعض الناس حينما يزعمون أنهم يقولون لا إله إلا الله ويباشرون الشرك بصور مختلفة فإذا أنكر عليهم قالوا نحن نقول لا إله إلا الله فيقال لهم ها هو رسول الله ﷺ قد قال من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله فلا يكفي أن يقولها بلسانه بل ولا يكفي أن يقولها بلسانه ويعتقدها ويقر بها بقلبه بل حتى يضم إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله :

المراتب التي ذكر الشيخ – رحمه الله – وأحسن في عرضها يقول – رحمه الله – قال:

((فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك بل لا يحرم ماله ولا دمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله))

أرأيتم أيها الإخوان كيف أن شأن التوحيد شأن عظيم دقيق يجب أن يحرر لله – عز وجل – لهذا قال فإن شك أو توقف لأن هذا المقام لا يجوز فيه الشك ولا التوقف لابد فيه من القطع والجزم فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها صدق ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع – رحمه الله رحمة واسعة –

والله أعلم ؛؛